من ثمرات رمضان تدمع العين ويبتسم القلب

الاثنين 3 يوليو 2017 08:07 م

محمد أبوغدير :

لقد كان شهر رمضان فرصة عظيمة لشحن القلوب بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته ، ووسيلة فعالة لكسر النفس وترقيق القلب بالصيام المفضي إلى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والإستعداد ليوم الرحيل وذلك هو ثمرة تقوي الله التي هي مقصود الصوم .

وكان شهر رمضان منحة ربانية ليغفر الله ذنوب عباده الصائمين نهاره والقائمين ليله ، ومن ثمار المغفرة والإستغفار صلاح العبد وسعادته واستقامة أحواله ، وحصول الرضا والطمأنينة وراحة البال ، كما ان قيام اللّيل هو شرف المؤمن ويعطيه جلالًا ونورًا ، ويجنّبه الإعراض الغفلة .

فإن ادرك المسلم فرص هذا الشهر ومنح الله فيه - السالف بيانها - اطمأنت نفسه ورق قلبه وزرفت دمعته خشية من الله تعالى ، وكذلك إذا أشرقت روحه نثرت عبير المودة نسائم المحبة ، وبلسم الألم ودواء الحزن ، حصلت إبتسامته ، وإن إنقضى رمضان وفاتت هذه الفرص فلا نلومن إلا أنفسنا .

وبعد انتهاء هذا الشهر الكريم ، نقف عند الدمعة من خشية الله من خلال بيان فضلها ، وأسباب حصولها ونذكر امثله للبكائين خشية من الله تعالى .
وعن الإبتسامة من حيث مفهومها ، وفوائدها ، وكونها طاعة وعبادة ، وفي ذلك كله الرسول قدوة لنا .

أولا : الدمعة خشية الله تعالى :

الدمعة خشية لله تعالى - كما سبق القول في المقدمة - هي ثمرة شهر من نتاج الطاعات التي مارسها المؤمن ، بها اطمأنت نفسه ورق قلبه زرفت عينه دمعة خشية .

وقد روي ان ابن المبارك جلس مع أصحابه يومًا فانطفأ السراج ؛ فقام رجل يُصلِح السراج، فلما اشتعل نظروا إلى ابن المبارك فإذا لحيته قد ابتلَّت بالدموع ! ، قالوا له : ما يبكيكِ يرحمك الله ؟! قال : تذكرتُ القبر وظُلمتَه .

سبحان الله ! هكذا السلف الصالح يبكي ظلمة القبر عندما ينطفيء السراج ؛ ونحن نبكي على فوات المسلسل التليفزيوني لو انقطع التيار الكهربائي .

فهيا نتحدث عن الدمعة من خشية الله من حيث فضلها ، ليدفعنا ذلك الى الهمة العالية للحصول على أسبابها ، لنصل إلى حال السلف الصالح في التحلى بها .

أ - فضل من أدمعت عينه من خشية الله :

من دمعت عيناه من خشية الله تعالى ، كان محلا لذكر الله تعالي في القرآن الكريم ، وينال حب الله تعالى ، ويظله الله يوم القيامة

بظله ، وينجيه من نار جهنم ، فلا تمسه يوم القيامة ، ولا يدخلها ولا تراها عينه ، ودلائل ذلك في الآتي :

1 . تكريمه بذكر الله تعالى له في القرآن :
يقول الله سبحانه : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المائدة: 83 ،
ويقول عنهم سبحانه أيضًا : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم : 58 .
ويقول كذلك : (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) الإسراء: 109.

2 . يحبها الله تعالى :
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تراق في سبيل الله) رواه الترمذي .

3 . يظله الله في ظله :
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»... وذكر منهم: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) درواه البخاري ومسلم .

4 . ينجيه الله من النار :
عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله، ما النجاة؟"، قال: (أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) رواه الترمذي .

5 . لا تمس النار عينه :
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي .

6 . لا يدخل النار ولا تراها عينه :
قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله» رواه الطبراني .

ب - أسباب حصول الدمعة خشية من الله تعالى :

على المسلم يستطيع أن يلتمس أسباب البكاء من خشية الله ، بأن يحاسب نفسه في حياته قبل أن تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، وأن يقرأ القرآن متدبرا لمعانيه ، وأن يحرص على سماع المواعظ المؤثرة من الصالحين ، وأن يتألم نادما على ما فرط في جنب الله ، ويخشى سوء الخاتمة ، وأن يذكر الله في خلوته وبيان ذلك ودلائله في الآتي :

1 . محاسبة النفس قبل أن تشهد عليه جوارحه :
يذكر قول الله تعالى فيقول : (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) الآيات "فصلت".

2 . قراءة القرآن وتدبر معانيه :
قال تعالى : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) الاسراء : 10 0 - 109

عَن ابن مَسعودٍ رضي اللَّه عنه قالَ : قال لي النبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : (اقْرَأْ علَّي القُرآنَ) قلتُ : يا رسُولَ اللَّه ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ ، قالَ : (إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء ، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية : (فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً) قال : " حَسْبُكَ الآن " فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ . رواه البخاري ومسلم .

3 . سماع المواعظ المؤثرة :
عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ـ وهو أحد البكّائين ـ قال : (وَعَظَنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب) .

4 . أن يتألم نادما على ما فرط في جنب الله :
فدموعُ التائبين في جُنْحِ الليلِ تروي الغليل ، وتشفي العليل ، كما قال الإمام الطبري في تأويل قوله تعالى (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ) النجم : 59،61 :

5 . البكاء شفقة من سوء الخاتمة :
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما مرّ رسول الله صلى الله عليه والة وسلم بالحِجْر قال : " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسَهم أن يُصيبكم ما أصابهم ؛ إلا أن تكونوا باكين " ، ثم قنّع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رأسه ، وأسرع المشيَ حتى أجاز الوادي) . رواه البخاري ومسلم .

6 . أن يذكر الله في خلوته :
وعنه قالَ : قالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ واله وسَلَّم : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظلُّهُ : وذكر منها ، رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) رواه البخاري ومسلم .

ج - امثله لبكاء السلف الصالح خشية لله:

وهذه أمثلة راقية لمن فاضت أعينهم خشية لله تعلى وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم فهو أرقهم قلبًا وأخشاهم لله .

ثَبَت في الصَّحيحينِ ، عنِ ابن مسعود رضي الله عنه -: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (اقرأ عليَّ القرآن) ، فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟ ! قال : (إنِّي أحبُّ أن أسمعه مِن غيري) ، فقرأ من سورة النساء حتى بلغ قول الله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) النساء : 41 ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حسبك)، فإذا عيناه تَذْرفان .

وقد ثَبَتَ عنه - صلى الله عليه وسلم -: أنه كان إذا صَلَّى سُمِع لصدره أزيز كأزيز المِرْجَل منَ البكاء، أي: كصوت القدر إذا اشتدَّ غليانه؛ رواه أبو داود، وأحمد، والنسائي

قال أبو بكر رضي الله عنه: (من استطاع أن يبكي فليبك ِ، ومن لم يستطع فليتباك) .

خطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أهل البصرة فقال : (أيها الناس ، ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ، ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لأن أدمع دمعة من خشية الله، أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما: إذا قرأ: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) سورة الحديد: 16 ، يبكي حتى يغلبه البكاء .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (أبكاني ثلاث : هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفي بين يدي الله ، لا أدري أيؤمر بي إلى الجنة ، أم إلى النار)

وشكا رجل إلى أم الدرداء القساوة من قلبه ، فقالت: (عُد المريض وشيع الجنازة واطلع في القبور) .

ثانيا : الإبتسامة عبير المودة وبلسم الألم :

سبق القول في المقدمة أن المسلم إذا ادرك ثمرات هذا الشهر - السالف بيانها في المقدمة - رق قلبه وأشرقت روحه وحصلت إبتسامته التي نثرت عبير المودة ونشرت نسائم المحبة ، وكانت بلسم الألم ودواء الحزن ، على كل من حوله .
وفي هذه السطور القصيرة نتكلم عن الإبتسامة من حيث مفهوم ، وفوائدها ، وكونها طاعة وعبادة ، وفي ذلك كله الرسول قدوة لنا .

أ مفهوم الإبتسامة :

الإبتسامة لغة : من التبسم وهو مبادئ الضحك ، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فإن كان بصوت يسمع من بعيد فهو القهقهة ، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم .

والإبتسامة نعمة عظيمة من نعم الله تعالى ، فهي سحر حلال تنبثق من القلب فتعطي الإنسان نشاطا وحيوية ، إن رسمها لنفسه ازداد بها قوة ، وإن أرسلها لقريب أشعره بالراحة ، وإن وجهها لمن لايعرفه صنعت معه صداقةً ، لذلك قال ابن عيينة رحمه الله: (البشاشة مصيدة القلوب).

ب - فوائد الابتسامة :

1. أنها باب من أبواب الصدقة والمعروف :
قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم : (وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة) رواه الترمذي .
وقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم : (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق) رواه الحاكم والبيهقي .

2. أنها سبب في كسب مودة الناس ومحبتهم :
قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم : (لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسط الوجه) رواه الحاكم .

3. فيها ترويح للنفس ودواء للهموم وذهاب للغموم :
قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم : (وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة) رواه الطبراني في

الكبير .

4. تجدد في النفس النشاط :
يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه " إن هذه القلوب تمل كما تملّ الأبدان ، فابتغوا لها طرف الحكمة " .

5. أنها مظهر من مظاهر حسن الخلق :
قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - (أنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) رواه مسلم .

6. فيها تأس بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم :
وقال عبدالله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه : " ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم " رواه الترمذي .
وعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنه- قال : (ما حجبني النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولا رآني إلا تبسّم في وجهي) رواه البخاري

ج - الإبتسامة طاعة وعبادة :

1 . نبتسم لأنفسنا لنسعدها وندخل السرور إليها ، نبتسم عندما نحقق إنجازاً ولو صغيراً فإن ذلك يدفع إلى مزيد من العطاء والإنجاز ، نبتسم عند الإخفاق لأن ذلك خطوة على طريق النجاح .

2 . ونبتسم لأقرب الناس إلينا من الوالدين والزوجة والأولاد فهم أولى الناس بالابتسامة ، فكم تبددت جبال المشاكل فور تلقيها حرارة الابتسامة ، وسارعت بالانصهار والذوبان .

3 . ونبتسم لرفقاء العمل وجيران المنزل وتلاميذ الفصل ، لتفرج بها عنهم هموم قلوبهم و نداوي بها مكلومهم وننشط خاملهم و تفرح محزونهم .

د - الرسول قدوتنا في الإبتسامة :

1 . كان حال الرسول دائما التبسم :
وقال عبدالله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه : " ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم " رواه الترمذي .
يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (.... كان لا يضحك إلا تبسما ...) رواه الحاكم .

2 . لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم وهو ينظر إلى مستقبل هذه الأمة :
عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: "نام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قريباً مني ثم استيقظ يتبسم فقلت: ما أضحكك، قال : (أناسٌ من أمتي عرضوا عليّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة، قالت: فادعوا الله أن يجعلني منهم فدعا لها) رواه البخاري .

ولقد ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو مبتسم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم، فإذا برسول الله - صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضح)